ISSN 2519-9781

الدلالة الإيجابية لأمثال المرأة الصومالية في قاموس جورج كبجتس- دراسة في تحليل المضمون

د. محمد علي عمر شيذو
أستاذ مساعد، محاضر ببرنامج الماجستير في اللغة العربيّة،
كلية الآداب والعلوم الاجتماعيّة، جامعة فطاني.
Email: shiidow@gmail.com

المستخلص

تُعدّ الأمثال -كما يقال – خير معبّر عن عادات الشّعوب وتقاليدها وأخلاقها، كما تمثل حكمتها وتاريخها، وحياتها، وملخص معاناتها وسعادتها . ومن هذا المنطلق تحاول الدّراسة الحاليّة تحليل دلالة مضمون الأمثال الصوماليّة الإيجابية الخاصة بالمرأة، الواردة في قاموس جورج، طبعة 1998م، لبيان ما تحمله من قيم مجتمعيّة نبيلة، بغية إبرازها والدعوة إلى التمسك بها، والتخلّق بمحتواها، وتستخدم الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، لعرض الأمثال وتصنيفها دلاليًا، وتحليل مضامينها السياقيّة والثقافية والبيئية والظرفية. وتوصلت إلى نتائج أهمها: تنوعت الأمثال بين أمثال استُمدت من الثقافة الإسلامية، أو تلاقتْ معها قيميًا، وأخرى تفرّد بها المجتمع الصومالي، وتعبّر عن خصوصياته الثقافيّة، والبيئيّة. أكدت الأمثال اعتراف المجتمع بقيمة السيدات، واحترام إنسانيتهنّ، وإقرار كفاءتهنّ، وتقدير عطاءاتهن ودورهنّ السامي في المجتمع، سواء كانت بنتاً، أو زوجة، أو أمًّا أو أختًا.

الكلمات المفتاحية: الدلالة الإيجابية، المرأة، الأمثال الصومالية، قاموس جورج.

Abstract

The proverbs are the best expressions of peoples' customs, traditions and morals. It also represents the wisdom, history, life, and experiences of peoples, summarize the suffering and happiness. From this standpoint, the current study attempts to analyze the significance of the content of the Somali examples of women, contained in the George Dictionary, 1998 edition, to demonstrate their noble societal values, in order to highlight them and call for adherence to them, and take their contents as behavior. The study uses the descriptive analytical approach, to present and classify proverbs semantically, and to analyze their contextual, cultural, environmental and circumstantial contents. It has reached the most important conclusions: Proverbs varied between proverbs were derived from Islamic culture, or congruent with her values, and another that is unique to the Somali society. It expresses its cultural and environmental peculiarities. Proverbs affirmed society's recognition of the value of women, respect for their humanity, recognition of their competence, and appreciation of their efforts and their sublime role in society, whether she is a daughter, wife, mother or sister.

Keywords: The positive connotation, Women, Somali Proverbs, George's Dictionary.

مقدمـــــة

الأمثال نتاج جمعي لعقول الشّعوب وخلاصة خبراتها الحياتيّة، وهي وثيقة عرفيّة تحافظ على كثير من ثقافة المجتمع وعاداته الخاصة، يتوارثها الأجيال مشافهة، أو كتابة؛ لذا تتميز- غالبًا- بالإيجاز، والبساطة، والسّهولة، وقوة التأثير. فالشعب الصومالي كغيره من الشّعوب يزاول أعمالًا مختلفة في مجالات متعددة، ويستخدم الأمثال لمناسبات ومواقف عديدة، وعليه تنوعت أمثاله وفق مجالات الحياة، وميادينها.

غير أنّ بعض المؤلّفين والباحثين المهتمين بالشأن الصومالي اعتنوا بالأمثال الصوماليّة، وقاموا بجمع متفرقاتها في سفر واحد مع شرح معانيها الغامضة أحيانًا، من بينها جورج صاحب القاموس الذي بين أيدينا.

ويقسّم جورج الأمثال الصوماليّة إلى قسمين: أمثال سائرة، (Maahmaah) وأقوال مأثورة، (Oraah) مضيفًا أنّ بعض الباحثين الصوماليين يُفَرّقون بينهما في التجانس البنيوي لهما، مؤكّدين أنّ الأمثال متجانسة، والأقوال المأثورة غير متجانسة، بينما يرى البعض الآخر أن المثل قديم أصيل، ويشمل الحكم أو الإرشادات، في حين تكون الأقوال المأثورة أقرب إلى شكل الكلام. (Kapchits, Georgi, 1998). بيد أن دراستنا هذه تضع كلّ الأمثال والأقوال التي تحمل دلالة إيجابية للمرأة الواردة في القاموس في خانة واحدة، وتستشهد بها على السواء طالما لا توجد معايير واضحة متفقة عليها يمكن اللجوء إليها للتمييز بينهما. وأما عند تحليل مضمون الأمثال سننظر بعناية قيم هذه المعاني التي تفرّد بها المجتمع الصومالي بِحُكم خصوصيته البيئية والقوميّة، بجانب تأثير الثقافة الإسلامية والعربيّة فيها التي وصلت إلى القرن الإفريقي في بداية الهجرة الأولى قبل 14 قرنًا تقريبًا، وقَبِلَ المجتمع الصومالي عقيدتها طواعية، وتدثّر بقيمها وتقمّص حضارتها، وظلّ يحمل لواءها في المنطقة حتى اللحظة؛ لمعرفة مدى تأثيرها على الأمثال.

فلكي يتمكّن القارئ العربي غير الناطق باللغة الصوماليّة من النطق الصحيح بالأمثال الصوماليّة الواردة في المقال، نعرض هنا مقدّمة موجزة عن الألفبائيّة الصومالية مقارنة مع نظيرتها العربيّة. فالأصوات الصوماليّة تكتب بالحرف اللاتيني، وبحسب

النُّطق، مثل العروض العربي، وتشترك مع العربيّة 22 صامتًا وهي كالآتي: (ء ʾ، B ب، T ت، J ج، KH خ، د D، ر R، س S، ش SH، ط DH، ع C، غ G، ينطق مثل الجيم المصري، ف F، ق Q، ك K، ل L، م M، ن N، و W، هـ H، ي Y، بينما تنقلب الصوامت الست (ث، ذ، ز، ص، ض، ظ)، عند كتابتها إلى رموز لصوامت أخرى، مثل ذ، وظ تكتب (د)، وث، وص، وز، تكتب (س)، وض، تكتب (ل). وأما الصوائت أو الحركات فهي خمس، تكون قصيرة تارة، وطويلة أخرى، وهي (A, AA فتحة، وI, II كسرة، وU, UU ضمة، هذه الثلاثة تشترك مع العربية تمامًا، لكن هناك صائت (حركة) (E, EE) القريبة من الإمالة العربية، تستخدمها الصوماليّة كالفتحة وأختيها، في حين يقلّ استعمالها في اللّغة العربية، وتنفرد الصوماليّة بـ حركة O,OO).

وفي الأسطر التالية نتناول التعريف بالأمثال، وأهميتها عند الأمم، والتعريف بالشّعب الصومالي ومكانة الأمثال عنده، ومجالات أمثاله، وترجمة مختصرة عن الجورج وقاموسه، والدلالات الإيجابية لأمثال المرأة الصومالية الواردة في القاموس.

التعريف بالمثل:

ذكرت المعاجم اللغويّة دلالات متعددة لـ كلمة (مَثَل)، قال ابن فارس: "الْمِيمُ وَالثَّاءُ وَاللَّامُ، أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مُنَاظَرَةِ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ. وَهَذَا مِثْلُ هَذَا، أَيْ نَظِيرُهُ، وَالْمِثْلُ وَالْمِثَالُ فِي مَعْنًى وَاحِدٍ، كَشَبَهٍ وَشِبْهٍ. وَالْمَثَلُ الْمَضْرُوبُ مَأْخُوذٌ مِنْ هَذَا، لِأَنَّهُ يُذْكَرُ مُوَرًّى بِهِ عَنْ مِثْلِهِ فِي الْمَعْنَى". (ابن فارس،1979م، ج5). وقال الخليل: "المِثلُ: شِبْهُ الشيءِ في المِثال والقَدْر ونحوِه حتى في المعنى. والمِثالُ: ما جُعِلَ مقدارًا لغيره، وجمعُه مُثُل، وأمثِلَة" (ابن فارس،1979م، ج8). وهناك من يفرّق بين جمع مِثَال ومِثْل، ويجمع مِثَال بـ المُثُل، ومِثْل بـ أمثلة، مثل معجم صخر الإلكتروني المعاصر. ولكن القرآن استخدم (أمثال) لجمع (مِثْل)، حيث قال في حديثه عن استبدال القوم المتقاعس عن نصرة الله بقوم آخر: ﴿ ... ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ [محمد]، وقال أيضا في سياق منع مجالسة الكفّار المستهزئين بآيات الله: ﴿ ... إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۚ ... ﴿١٤٠﴾ ﴾ [النساء]، أي إن لم تمتنعوا، ويقول الزجاج: اللفظ واحد والمعنى جمع، (1988م، ج2)، ويقال: امْتَثَلْت مِثالَ فُلَانٍ، أي احْتَذَيْت حَذْوَه

وَسَلَكْتُ طَرِيقَتَهُ. (ابن منظور، 1414هـ، ج11). وفسّر العسكري: المَثَل، بالصّفة، مستشهدًا بقول الله العزيز: ﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَۖ ... ﴿٣٥﴾ ﴾ [الرعد] أي صِفة الجنة. وأضاف، قولك: ضربت لفُلَان مثلًا، مَعْنَاهُ أَنَّك وصفت لَهُ شَيْئا، وقولك: مَثَل هَذَا كَمَثل هَذَا أَي صفته كصفته. (ابن منظور، 1414هـ، ج11)، وقد يعني المثل: الحجة، كقوله الكريم: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الفرقان] أي بحجّة، أو بسؤالٍ عجيبٍ. (القرطبي، 1964م،ج13)، و(السمين الحلبي، ج8).

ويرد المَثَلُ بمعنى العِبْرةِ؛ كقوله المجيد: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الزخرف]، أَي عِبْرة يعتبِر بها المتأَخرون، ويكون كذلك بمعنى الآيةِ، نحو قول الله عز وجل في صفة عيسى، عليه السلام: ﴿ ... وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الزخرف]؛ أَي آيةً تدلُّ على نُبُوّتِه. (أبو منصور، 2001م، ج2).

والمَثَلُ: الحديثُ نَفْسُه. نحو قول الله: ﴿ ... وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰۚ ...﴿٦٠﴾ ﴾ [النحل]، ويُقال: تمثَّل فلَان، إِذا ضَرَب مَثَلًا. (أبو منصور، ج 15). و(ابن سيده، 2000م، ج10). ومَثَّل له الشيءَ: صوَّره حتى كأَنه ينظر إِليه. وامْتَثله هو: تصوَّره. (ابن منظور، ج11)، كقوله تعالى حكاية عن مريم: ﴿ ...فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ ﴾ [مريم]، أي تصوّر جبريل لها على هيئة إنسان.

يتّضح مما سبق أن دلالات المَثَل اللغويّة شملت النَظِير وَالشَّبَه؛ لأنه يُساق لما هو نِدّه، أو مُحاكٍ له في الشّكل أو الجوهر، والصّفة؛ لأنه يعرض حالة الشيء وهيئته، والحجة؛ لأنه يحتج به، والعِبْرةِ؛ لأنه تذكرة وإرشاد لمن يتعظ به، والآية؛ لأنه نموذج وبرهان لمن يبحث عن الحقيقة والإقناع، والحديثُ؛ لأنه يُتحدّث به، وغيرها من المعاني، بيد أن مقصود المَثَل في هذه المقالة هو التعبير المقتضب أو المرسل الدالّ على شيء يماثل بما سيق له صراحةً، أو ضمنًا، أو قريبًا منه. وأما جمعه المعتمد في هذه الدراسة فهو (الأمثال) تفاديًا من أي ربكة أو سوء فهم تُسببها استخدامات الجموع المتعددة.

أما اصطلاحًا: ينقل اليوسي عن المرزوقي قوله: المثل جملة من القول مقتضبة من أصلها أو مرسلة بذاتها، تتسم بالقبول وتشتهر بالتداول، فتنتقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح أن يطلق عليه، وقال في تعريف آخر: المثل هو قول يرد أولًا لسبب خاص، ثم يتعداه إلى أشباهه فيستعمل فيها شائعًا ذائعًا على وجه تشبيهها بالمورد الأول؛ غير أنّ الاستعمال على وجهين: أحدهما أن يكون على وجه التشبيه الصريح، والثاني أنّ لا يكون وجه التشبيه الصريح، وهو الأكثر من الأول" (اليوسي، 1981م، ج1). ونقل الجبار عن المبرد قوله بأنه: "قول سائر يشبه مضربه بمورده، أو يشبه فيه حال المقول فيه ثانيا بحال المقول فيه أولا". (اليوسي، 1981م، ج1)، وقال ابن عاشور في بيان هذا التعريف، أي "أَنْ تَحْصُلَ حَالَةٌ لَهَا شَبَهٌ بِالْحَالَةِ الَّتِي صَدَرَ فِيهَا ذَلِكَ الْقَوْلُ فَيَسْتَحْضِرُ الْمُتَكَلِّمُ تِلْكَ الْحَالَة الَّتِي صَدَرَ فِيهَا الْقَوْلُ الأول وَيُشَبِّه بِهَا الْحَالَةَ الَّتِي عَرَضَتْ الآن؛ لِيُذَكِّرَ السَّامِعَ بِأَنَّ حَالَةَ الْيَوْمِ شَبِيهَةٌ بِالحالة السابقة". (1984 ابن عاشور م، ج1).

ويعرّف تاج العارفين المثل بأنّه: مقابلة شيء بشيء وهو نظيره، أو وضع شيء ما؛ ليحتذى فيه بما يفعل. (تاج العارفين 1990م).

ويعرف القاموس الصومالي المثل بأنه: عبارة موجزة مُقفاة، تدلّ على حَصَافَة تحتوي حنكة (Puglielli وMansuur، 2012م)، ويجسّد هذا التعريف بنية المثل الصومالي ومضمونه؛ إذ تسير جلّ الأمثال الصومالية على سجع، وتُبنى على حرف واحد، مثل الشّعر تقريبًا، وتضم -كذلك- ثمرة تجارب أو نتاج عقول، أو تصورات أذهان. بيد أن بعضها يبقى انطباعات أفراد قيل في لحظة تجمع ما، استحسنها نفر من الحاضرين، ونقلوها إلى نظرائهم وجلسائهم، ثمّ انتشرت وصارت أمثالًا.

أهمية الأمثال عند الأمم:

"للأمثال مكانة رفيعة عند الأمم، وأهمية كبيرة بين أساليب بيانها؛ لما لها من دور بارز في الإقناع، وسرعة التفهيم، وإزالة الإشكال" (الجربوع، 2003م، ج1). رغم أن أكثر قائليها مجهولون؛ لأنها تنبعث غالبا من أناس لا يُمَجَّدُون ولا يحفل بهم الناس، ولا يحفلون بأنفسهم -أيضًا-؛ لأنهم من العامة، والعامة عادة لا يهتمون بنسبة فضل إليهم.

(شوقي، 1995م، ج1)، وفسّر الهاشمي سبب تعلّق المجتمعات بالأمثال، أنّها تشمل خصائص الإيجاز، والتشبيه، والتعريض، والكناية، قائلًا: "الإيجاز في الكلام إذا صادف مواقِعه حِلْيَةٌ، والتّشبيه إذا ورد مواضِعه زِينَةٌ، والتّعريض في كثير منه أبلغ من التّصريح، والكناية في أماكنها أوقع من التّحقيق، ووجدت جميع هذه الخلال مجتمعة في المثل. (شوقي 1995، ج1). ويعترض الجبار نقطة الإيجاز، قائلًا: إن تقييد المثل بالإيجاز لا ينطبق إلا على بعض فنون المثل، وأنّ العرب القدامى وإخوانهم الساميين قد أطلقوا كلمة المثل على عبارات لا يشترط فيها الإيجاز، كالأمثال القياسية، والأمثال الخرافية، وغيرها. (شوقي 1995، ج1)، بيد أنه يبدو لي أن قول الهاشمي يشير إلى غالب الأمثال، وليس كلّها.

ويقول شوقي: قد تلاحظ فى بعض عبارات الأمثال احتفالًا بتوازن الكلمات توازنًا ينتهي بها إلى السجع كما تلاحظ فى بعض جوانبها اهتمامًا بالتصوير، وهذا يدلّ على أنها تمثّل نهاية بلاغة الشعوب؛ لما تشتمل عليه من حسن التشبيه وجودة الكناية. (شوقي ج1)، فالمثل تعبير عن المؤثرات الشعوريّة العميقة التي اختفت في عقل الباطن؛ لذا يعدّ مصدرًا خصبًا لمن يريد أن يفهم الشخصية القوميّة ومذهبها الفطري في التفكير، وفي الحياة بصفة عامة. (الحمزاوي، د، ت).

فيظهر مما سبق أنّ الأمثال غاية في الأهميّة لجميع الأمم؛ لأنها تمثّل كنزها الثمين الذي يحوي تراثها الأصيل، وتقاليدها العريقة، وخصوصياتها التاريخيّة والثقافيّة والحضاريّة، وغيرها.

التعريف بالشّعب الصومالي:

الصومال –كدولة– هو هذا البلد المسلم الواقع في القرن الإفريقي، وعاصمته مقديشو، ويحدّه شرقًا وجنوبًا المحيط الهندي، ومن الغرب إثيوبيا، ومن الشمال جيبوتي وخليج عدن، ومن الجنوب الغربي كينيا. على أن الصوماليين –كشعب– ينتشرون في مساحة لا تقلّ عن مليون ونصف كم مربع –تقريبًا– فيما يطلق عليه الصومال الكبير، وتقع بعض أجزاء الصومال الكبير في جيبوتي، وشرق إثيوبيا، وشمال شرق كينيا. وينتمي

الصوماليون إلى الحاميين الشرقيين، ويؤكّد علماء الأجناس البشريّة، أنّ موجات بشرية تتابعت من غرب آسيا إلى منطقة شرق إفريقيا منذ سبعة آلاف سنة، وأن كل هجرة كانت تدفع بالعناصر الموجودة إلى داخل القارة وجنوبها، كما وفدت إلى الصومال هجرات أخرى من منطقة البحيرات الاستوائيّة، وأخرى من شبه الجزيرة العربية، واختلطت العناصر الوافدة بعناصر السكان الأصليين، ونتج عن هذا الخليط شعب الصومال الحالي.

ويتحدث الصوماليون اللغة الصوماليّة، وهي من اللغات الكوشتية التي تضم بضعًا وثلاثين لغة ولهجة، وتنتشر في شرق إفريقيا. وكان الصوماليون يكتبون لغتهم بالحروف العربية بصفة عامة حتى سنة 1972م، حينها أعلن الرئيس محمد سياد بري كتابة اللغة الصومالية بالحروف اللاتينية. (الموسوعة العربية العالمية، 1999م، ج15).

ويُقصد الأمثال الصوماليّة في هذه الدراسة أمثال الشعب الصومالي، بغض النظر عن منطقته، ومكان وجوده، الخاصة بالمرأة، الدالّة على التقدير والتبجيل، والاحترام.

مكانة الأمثال عند الصوماليين:

يقول جورج: المثل سمة لا يستغني عنها أي لسان، لذا تلاحظ تشابهًا كبيرًا بين جميع أمثال الشعوب، لتماثل الحالات التي قيلت فيها، أو تقاربها، فالاختلاف يبقى محصورًا في البيئة المحيطة بالإنسان التي تسهم في تحديد مادة المثل، فالمثل الصومالي الذي يُستدل بتمجيد الوحدة والتعاون وتنفير الفرقة والتباغض، القائل: Far kali ah fool ma dhaqdo، والذي معناه، الأصبع الواحدة لا تغسل وجهًا، تُقارب المثل الأورومي، القائل: Far kali ah diqsi ma qabato، ومعناه، الأصبع الواحدة لا تمسك ذبابة، وكذلك المثل الروسي، القائل: Nin kali ah dagaal yahan ma ahan، ومعناه رجل واحد لا يكون محاربًا)، نستنتج من هذا أنّ تشابه الحالات التي سيقت فيها الأمثال وحّدت المقصد، ولكن البيئة المحيطة بالإنسان هي التي فرّقت المفردات.

وبما أن غالبية الشعب الصومالي كانت ولا زالت رعويّة، أو ريفيّة، بات من الطبيعي، أن يُقدّر الارتجال والمشافهة، وأن يعلي شأن الأمثال والحكم، ومما يدلّ على ذلك قولهم: Soomaali been waa sheegtaa laakiin kuma maahmaahdo ، ومعناه، الصومالي

قد يكذب في حديثه ولكنه لا يكذب في أمثاله، وكذلك المثل القائل: Hadal aan maahmaah lahayn waa hilib aanan mindi lahayn، الكلام بدون مثل، كاللحم بدون سكين، ويُظهر هذا المثل بجانب أهمية المثل للكلام، مدى تعلّق المجتمع الصومالي باللحوم بمقتضى كثرة الثروة الحيوانيّة فيه، وكذلك عادة تقديم اللحم مع السكين؛ ليتيسّر قطعه إذا استلزم ذلك. وكان يحترم الكبار، ويُبجّل ما أُثِر عنهم، حتى قال: Rag waa ragii hore, hadalna waa intuu yiri الرجال هم الأسلاف، والقول قولهم. (جورج، 1998).

وهذا يدلّ على تشبُّث الصوماليين بالأمثال والأقوال المأثورة، بل أكثر من ذلك تجد أعيان القبيلة وخطباءها وشعراءها يتفاوتون في توقير المجتمع وتعظيمه لهم، كل حسب قدرته على حفظ الأمثال وأقوال القدامى والأشعار، واستدلالاته بها في اجتماعات العشيرة ومناسباتها المختلفة، إضافة إلى منطقيّة طرحه ووضوح حجّته، وقوّة إقناعه، وجمال تعبيره، وجودة إلقائه.

مجالات الأمثال عند الصوماليين:

زاول الشعب الصومالي بحكم موقعه الجغرافي، مهنًا متعددة تنسجم مع بيئته واحتياجاته، منها الرّعي، والصيد، والزراعة، والتجارة، وغيرها، وتنوعت أمثاله بناء على مجالات مهنه، كما لم تغب الأمثال عن القضايا المشتركة، والأحداث المتجددة، والظروف المتغيرة، كالترابط، والحرب، والسّفر، والإقامة، والصّلح، والتراحم، والصبر، والصحة، والتعليم، والمعاملات، وغيرها. وفي قاموس جورج، رتّب الأمثال حسب تسلسلها الهجائي، -كما هو سائد في ترتيب القواميس- وليس وفق موضوعاتها؛ لكنّه أورد في ثنايا القاموس أمثالًا شملت جميع مجالات المهن المعروفة عند الصوماليين، ورسمت أوضاعه المختلفة، وأرّخت لمواقفه المتنوعة، منها ما يأتي: الأخلاق، نحو: Dabeecaddu diinta waa ka badh، حسن الخلق نصف الدّين، والوفاء بالعهد، مثل: Nimaan balan lahayni waa nin aan diin lahayn ، من لا عهد له لا دين له. والتمهّل والتأنّ، كقولهم: inta aanad falin ka fiirso فكّر قبل التنفيذ، أي قبل النّدم. والنظافة، نحو، Arrad waa dan uskugse waa doqonimo، رثّاثة الملبس من العَوْز، أما الوساخة

فهي من الغباء. والترهيب من الجشع، كقولهم: Hunguri weyni, Malaay (kalluun) aa Saab ugu dhacay. الجشع وضع سمكة في مِصْيَدَة. والصبر، نحو: Samraa sammo hela, ama Samraa sed helo. ، الصبور ينال الخير، أو الصبور يحصل الزاد. والصّحة، كقولهم: Milil guudkii lama dhayo، لا يُطهّر فوق الصديد في الجرح الملتهب، أي ينبغي أن يخرج القيح أولًا، قبل التعقيم والتطهير.

والسّفر، كقولهم: Nin geed kaa qariyay geerina u dhaw، من أخفاه الشّجر فلا تستبعد وفاته. ويرمز إلى دلالة "من سَافَرَ فَتَوَقَّعْ نَعْيَه". ويرسم هذا المثل قساوة الحياة البدوية الصوماليّة قديمًا؛ إذ كانت احتماليّة عودة المسافر سالمًا ضئيلة لوعورة الطريق وخطورته، إما لِبُعد المسافة وقَفْرها، أو لانتشار الحيوانات المفترسة في غاباتها وتضاريسها، أو لكمائن قطاع الطرق، ومقاتلي العشائر المتاخمة -التي غالبا ما تكون بينها وبين عشيرة المسافر نزاعات وثارات- أو التي تقطن جانبي الطريق الموصل إلى مقصده، أو الأوبئة والأمراض المفاجئة التي قد تصيبه أثناء السّفر، بحيث يُعدّ المسافر إذا رجع إلى منزله سالمًا معافىً قاضيًا حاجته، كأنّه وُلد من جديد.

والصُّلح، كقولهم:Aan wada hadalno waa aan heshiinno ، فلنتحاور يعني فلنتصالح. والسّلم، نحو: Nabad la'aani waa nolol la'aan، انعدام السّلم يعني انعدام الحياة. وبرّ الوالدين، كقولهم: Habaar waalid ma haro، دعاء الوالد عليك يلازمك، والعرس، كقولهم: Aroos lagama raago, lagumana raago، لا تتأخر عن العرس، ولا تتأخر فيه. والتعليم، كقولهم: Aqoon la'aani waa iftiin la'aan، الجهل ظلام، والرّحمة، كقولهم: Naxariis eebbe lagama quusto، لا تَقنط من رحمة الله، وكذلك قولهم:Nimaan naxariisan looma naxariisto ، من لَاْ يَرْحَمْ لَاْ يُرْحَمْ. والعمل، كقولهم:Nimaan shaqaysan shaxaad baa dila ، من لا يعمل يعيش شحّاذا، أي متسوّلا. والتنفير من الحرب، كقولهم: Dagaal wiil baa ku dhintee wiil kuma dhasho، الحرب تُوْدِي بحياة الفتى، ولا تُخَلِّفه. وغيرها.

ويلاحظ من هذه الأمثال، أن بعضها استمدت من التراث الإسلامي، سواء من القرآن، كمثل العرس، الذي استُقي من قوله تعالى: ﴿ ... إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ ...﴿٥٣﴾ ﴾ [الأحزاب]، ومَثَل الرّحمة الذي أُخذ من قوله الكريم: ﴿ ... لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ ...﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر] أو الحديث، كمَثَل: «حُسْن الخُلق نصف الدّين» (زغلول، ج4)، ومَثَل «مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ» (ابن أبي شيبة،ج5، 1409)، اللذين تُرجما حرفيًا من الحديثين، ومَثَل: من لا عَهْدَ له لا دِيْنَ له، هو جزء من الحديث القائل: «لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ» (ابن أبي شيبة، ج6)، وإن جاءت عبارة المَثَل مقلوبة، حيث قدّمت العهد على الدين، أو الأمثال العربيّة، كمثل التعليم، الذي أُخذ طرفًا من المثل القائل: "العِلْمُ نورٌ والجَهْلُ ظلامٌ". وهذا يدلّ على تأثر تصوّرات المجتمع الذهنيّة، وانطباعاته الذاتيّة وذائقته الفنية والأسلوبية على الثقافة الإسلامية عمومًا، وإن قلّت الأمثال التي تجسد ذلك، مقارنة بالأمثال التي تعرض خصوصياته الاجتماعيّة والثقافيّة، والتاريخيّة والعرفيّة، والبيئية،...إلخ.

قد يقول القائل إن الملاحظة الأخيرة ليست دقيقة: وأنه لا يوجد دليل ساطع يبيّن ما إذا كانت تلك الأمثال، اقتُبِست فعلًا من التراث الإسلامي، أم جاءت من وحي الواقع، وجادت عقول قائليها لسدّ حاجة قائمة آنئذ، أو لتجسيد قِيَمٍ ارتأوها أنها تُسهم في تحسين حياتهم وتعزز تماسك مجتمعهم وتواثقه. ثم تطابق القِيَمْان، قِيَم التراث الإسلامي، والقيم الفطرية التي ضمّن الشعب أمثاله، كلا الاحتمالين وارد، طالما لا يوجد تأريخ ثابت يحدّد بداية الأمثال، ويعيّن قائليها وعصورهم، أو حقبها، ولكنّي أميل إلى الرأي الأول.

ترجمة مختصرة عن جورج كبجتس (Georgi Kapchits) وقاموسه

ولد جورج كبجتس في مدينة Osipovichi في روسيا البيضاء التي كانت جزءًا من الاتحاد السوفيتي وَقْتِئِذٍ، سنة 1939م، وتخرّج في معهد الدّراسات الآسيوية والأفريقية في موسكو، عام 1967م، وتأهل لغويًا للدّراسات الأمهريّة والصوماليّة، وعمل مذيعًا في القسم الصّومالي لإذاعة موسكو العالمية في الفترة ما بين 1967م إلى 1994م، ويعمل معلّقًا بقسم الأخبار في إذاعة صوت روسيا، ومحاضرًا باللغة الصّوماليّة في جامعتي موسكو

وبرلين منذ عام 1994م. زار مقديشو في عام 1989م، وهرجيسا في عام 2001م، وجيبوتي في عام 2003م، وتحصّل على الدكتوراه في موضوع "النّحو الصّومالي" عام 2000م، وهو متزوج، وأب لابنتين.

وله مؤلّفات عديدة في الأدب الصومالي، منها كتاب: الأمثال الصوماليّة، الصادر عام 1983م، وكتاب: الأساطير قصص تراثيّة، المنشور عام 1996م، وكتاب: القصص الصوماليّة، الصادر عام 1997م، وقاموس الأمثال الصوماليّة، المنشور عام 1998م، ومن أحد أمثاله المفضّلة، المثل القائل: Rag waxaa ugu xun saddex nin: nin maqan oon la tabin, nin jooga oon la tirin, iyo nin tagaya oon la celin. أَحْقَر أنواع الرّجال ثلاثة، غائب لا يُفتقد، حاضر لا يُعدُّ، مُرتَحِلٌ لا يُعترض.

ووصف قاموسه بأنّه أكبر قاموس مطبوع كُتب عن حِكَم الأمثال الصوماليّة حتى الآن، حيث يضم قرابة 6000 مَثَل موثق وُجدت معظمها أكثر من مائة مصدر، موضّحًا أنّ فيه أمثالًا شائعة وأخرى مغمورة تحفظ حِكم الأسلاف وخبراتهم، ووزّع الأمثال إلى ثلاثة أقسام، قسم يضم أمثالًا عادية ترد ضمن عبارة واحدة، وهو الأكثر، وقسم يحتوي على أمثال تزيد على عبارة واحدة، وقسم يشمل الأمثال المعروفة بـ (Tirooleey)، أي ذوات العدد، سواء أكانت ثلاثيّة العدد، أو رباعيّة العدد، أو غيرها، والعدد هنا عدد العبارات المنسجمة معنى، والمسجوعة غالبًا، والمتناغمة إيقاعًا، والتي تنضوي تحت المثل الواحد.

وذكر أنه دوّن الأمثال وفق أهميتها؛ إذ قدّم المثل الأساسي في الموضوع ثم أتبع الأمثال الأخرى المتوافقة معنًى والمختلفة تركيبًا -ولو جزئيًا-؛ لإظهار الفارق اللهجي بين الأمثال. وفي حديثه عن كيفيّة عدّ المثل أساسيًا يستحق التقديم، قال: يعود لكثرة عدد مصادره، مستشهدًا بالمثل القائل: Hadal af dhaafay afaaf dhaaf، أيّ كلام يخرج من الفم، يتخطّى الباب، وبيّن أنه وجد من خمسة مصادر، بينما عثر على المثل الفرعي القائل: Eray af dhaafay afaaf dhaaf، أيّة كلمة تخرج من الفم تتخطّى الباب. من مصدر واحد، وهذا العدد هو ما جعل الأوّل أساسيًا، والثاني فرعيًا.

أما طريقة تنظيم الأمثال فقد اتبع نسق الترتيب الألفبائيّ الإنجليزي، وليس وفق الألفبائيّة الصوماليّة القريبة من العربيّة، بحيث إذا أردت أن تبحث عن مثل يبدأ بـ (C) الصوماليّة، فتذهب إلى (C) الإنجليزية التي تأتي بعد (B)، وليس بعد (Dh)، طبقًا للترتيب الصومالي، وهكذا. وترجمة الكاتب في هذا الرابط، www.kapchits.narod.ru، والتواصل مع المؤلف عبر geedka@aha.ru.

الدلالات الإيجابية لأمثال المرأة الصومالية في قاموس جورج:

المجتمع الصومالي يُوصف بأنه رعوي الطبع أو الواقع -غالبًا-؛ لذا سندرس في هذه المقالة أمثاله في المرأة الدالة على التقدير والاحترام والتوقير، كما نأخذ مثلًا واحدًا من الأمثال المتكررة التي يتغيّر -أحيانًا- ترتيبها النسقي أو بعض تراكيبها اللفظيّة، وتدور في مضمون واحد، مراعاة لحجم المقالة، ونبدأ بما يلي:

أمثال وردت في فضل البنت:

- **المثل الأول: Gabari waa xoolo guneed (جورج، ص71)، البنت ثروة العشيرة.**

بمعنى أنّ أي قرار يتعلّق بمصيرها، خاصة التزويج، يُقررها أعيان العشيرة، وليس والدها وأسرتها فقط. ووصفها بالثروة هنا ليس تقليلًا من شأنها بل تشريفًا لها، بحيث إن العشيرة مجتمعة بقرار أعيانها تتحمل مسؤولية حمايتها من أي إساءة لها فيما بعد.

وفي هذا السياق نجد أن كثيرًا من الفتيات الموجودات في الأماكن البعيدة عن أسرهنّ وأقاربهن، إذا أردن الزواج فأفراد العشيرة الموجودون معهنّ، يتولّون تزويجهنّ ويؤدّون دور الولي بالإنابة،- بعد التواصل مع ولي الأمر الأصلي- وذلك؛ ليلجأن إليهم إذا شعرن بالتقصير أو الإساءة من قبل الأزواج، أو أي أحد آخر.

- **المثل الثاني: Noloshana gabar ha ku wehliso, geerina wiil hakaa haro (جورج، ص150)، فلترافقك بنت في الحياة، وليخلفك ولد بعد المنيّة.**

فهذا المثل يبيّن مدى تقدير المجتمع للبنات؛ إذ يرى أن الحياة بدونها شاقّة، وأن الولد لا يماثلها في الحُنُوّ والمودّة والمؤانسة، بل حصر المجتمع دور الولد من خلال هذا المثل في حمل نسب الأب بعد وفاته فقط. ويقول أستاذ فيروز: إنّ الأمثال التي تحتوي أكثر من

عبارة، مثل هذا المثل تمزج بين موقفين، موقف مسلّم به ومتفق عليه، وآخر يراد تأكيده لضمّه إلى المسلّم به، مثل طرفي التشبيه حيث يكون المشبّه به متفق عليه يُساق به لرفع المشبّه وتقويته وتبيان حاله، نحو "حاتم كالبحر في العطاء" إذ يعرف الجميع أنّ البحر معطاء يُكرم بدون مقابل، ولكن كثيرًا منهم يجهل عن كرم حاتم (المشبّه)، أو مقداره، وهنا أُتي بالمشبّه به (البحر) لإثبات سخاء حاتم، وإبراز غزارة جوده.

وهذا يعني أن كون البنت أقرب إلى قلب الوالدين والمجتمع المحيط بها بسبب عطفها عليهم، ولطفها بهم وسرعة استجابتها لطلباتهم، وأنهم يرغبون في دوام مصاحبتها معهم، شيء مسلّم به، ولكنهم يريدون تقوية فكرة أهمية الولد بعد وفاة والده؛ لهذا جمعوا مع الموقف المتفق عليه الأول في مَثَل واحد. وكذلك كل الأمثال المماثلة لها. (مقابلة، 8 أبريل، 2020م).

- **المثل الثالث: Gabarta dhowrani waa la aroosaa, guriga cusubna waa la dagaa (جورج، ص71)، تزّوج فتاة مصونة، واسكن بيتًا جديدًا.**

يوضّح هذا المثل عمّا للبنت المصونة العفيفة من قيمة نادرة، حيث يسعى كلّ الرّجال المقبلين على الزواج للارتباط بها، لكونها درّة مكنونة وجوهرة ثمينة، كما أن طبيعة المجتمع المسلم المحافظ تقتضي أن تكون جميع بناته مصونات طاهرات محتشمات، وهو ما يؤصّله المثل مبيّنا أنّ نقاء عرض البنت وصفاء شرفها، ونزاهتها من كل المثالب، يرفع شأنها، ويُكثر الراغبين بها، ومن هنا يحثّ المثل على البنات الالتزام يقيمهنّ، والمحافظة على شرفهنّ؛ لأنه أعزّ ما يملكنه، وأنهنّ أقدر على صيانته. وفي الطرف الثاني من المثل، يقول: البنت الخلوقة المحصنة، كالبيت الجديد الذي يتمنى كلّ إنسان باحث عن سكن أن يظفر به.

أمثال جاءت في فضل الزوجة:

- **المثل الرابع: Naag la'aan waa naf la'aan/nolol la'aan (جورج، ص121)، لا حياة بدون زوجة.**

يشير المثل إلى أهمية الزوجة في حياة الرّجل الصومالي قديمًا؛ لأنها تُعينه في تحقيق أدوار ثلاثة، الأول أن يكون له مأوى خاص به، ما يؤهله للنهوض بدوره الاجتماعي في

العشيرة، كاستقبال الضيوف، ودفع الاشتراكات، والثاني، أنّه يرتاح نفسيًا، ويجد من يهتمّ به ويسهر لإسعاده، والثالث، أنها تكون سببًا في الخِلفة التي هي مسألة حياة أو موت؛ إذ يُقَيَّم الرّجل بعدد أولاده، وترتفع أسهمه في المجتمع حينما تكون له أولاد، وكذلك العكس.

- **المثل الخامس: Xaggay naagi kaa joogto dad baa kaa jira (جورج، ص187)، الجهة التي فيها سيدة فيها أهل.**

ويُعنى هذا المثل أنّ بنت العشيرة إذا تزوجت من عشيرة أخرى، تَعتبر عشيرتها كممثلة لها، وهي أيضًا تؤمن بذلك وتتصرف بموجبها، وأهل الزوج وأولادها وأقرباؤهم، والمحيطون بهم في النسب أو المسكن يبالغون في إكرام أي واحد من عشيرة الزوجة إذا قَدِم إليهم، وكذلك حمايته من أي عدوّ محتمل، لذلك قالوا: السيدة الواحدة بمثابة قوم في مُقامها.

- **المثل السادس: Jiilaalka iyo ninku way legdamaan, kolba ka naagtu raacdaa adag (جورج، ص97)، الزوج والجفاف يتصارعان، فيغلب من تقف الزوجة معه.**

ويُبيّن هذا المثل قيمة الزوجة في حياة الرّجل الصومالي، وأنّه ينتصر على التحدّيات والصعاب بكفاءة حين تدعم الزوجة وتقف معه، وفي المثل إشارة أخرى ضمنيّة تشيد بالمرأة الكريمة التي تؤازر زوجها في تعدي المحن والشدائد.

- **المثل السابع: Rag waa nin naag guursaday iyo nin naakirad guursaday (جورج، ص157)، الأزواج ضربان: متزوج بامرأة صالحة، ومتزوج بناكرة جميل.**

يمجّد هذا المثل المرأة الصوماليّة، حيث وصف غالبيّة السيدات بالطيّبات؛ لكون الشقّ الأول في العبارة متفق عليه، بينما يَنْدُر الشقّ الثانيّ في النساء، وهو وجود ناكرات جميل في وسطهن، لذلك احتاج الشقّ الثاني إلى الأول؛ لتظهر دلالته، وهو كثرة الزوجات الكريمات في المجتمع. وفي المثل-أيضًا- طمأنة وتنبيه على الأزواج، فالطمأنة هي وفرة

الزوجات الصالحات في المجتمع، وأن أي رجل يريد الحصول على إحداهن يجدها بدون عناء، ولكن في المقابل تنبيه على الأزواج بأن في المجتمع قلّة من ناكرات الجميل، فعليهم أن ينتبهوا أولًا عند البحث عن شريكة حياة، وثانيًا إذا قاد حظهم العاثر إلى الارتباط بهنّ فعليهم أن يصبروا، ولا يتعجّلوا في الانفصال عنهنّ.

- **المثل الثامن: Naagtayda iyo tolkayga way xun yihiin midna lama yiraahdo (جورج، ص123)، لا تقل عن زوجتك نكديّة ولا عن عشيرتك وضيعة.**

بمعنى أنّه محظور مجتمعيًّا أن يشتكي الزوج من زوجته علنًا، حتى وإن ضيّقت عليه معيشته، ونغّصت حياته، وأن ذلك من التابوهات (المحرّمات) التي تهزّ كرامة الزوج وتمسّ كبرياءه وتشوّه شرفه، وكذلك انتقاداته لعشيرته، ووصفها بألفاظ نابية، وهو ما لا يُتوقع حدوثه عادة، لأن البدوي يعتزّ بعشيرته، ويراها سلالة نقيّة خالية من العيوب.

- **المثل الثامن: Naagi yaraan guur kuma laha, ragna ficil yaraan kuma laha (جورج، ص121)، لا تصلح القاصرة للزواج، ولا تغيب عن الصبيان روح المنافسة والمؤازرة**

يبيّن هذا المثل أن المجتمع الصومالي لم يكن يرضى بتزويج القُصَّر؛ لأنّ مهام الزوجة عديدة وشاقة، بعضها عُرفيّة، ينبغي أن تعيها البنت وتتصرّف بموجبها، وبعض الآخر ظرفيّة ويوميّة، وتحتاج إلى شخصيّة ناضجة، قادرة على التصرّف حسب الموقف، وهو ما لا تستطيع القاصرة القيام به؛ لذا يتجنّب أهل البنت أن يزوجوا بنتهم القاصرة؛ لأن أي خطأ ينتج عن صغرها يعود إليهم، ويؤاخذ عليهم، وكذلك أهل الزوج لا يريدون تزويج ابنهم لقاصرة، تعجز عن أداء مهامها الزوجيّة التي تتطلبها الحياة البدوية أو الريفيّة، كما إن أي انتقاد لزوجة الرّجل انتقاد له بصورة أو بأخرى، وهو ما يحاول الطرفان الابتعاد عنه.

وفي الجانب الآخر يؤكّد المثل أن لدى الصبيان روح التنافس والتآزر، وهو ما لا ينبغي الاستخفاف به، بل على المجتمع أن يحترم الصبيان، ويقدّر شعورهم وعقولهم، وأن

يتعامل معهم معاملة الرّجال، وأن لا يُحسّهم بأنهم أقلّ أهمية من الكبار. وهي فكرة تربوية جميلة تبنّاها المجتمع منذ القدم.

- **المثل التاسع: Geel waa xawr (xoor), fardo waa xawli, riyo waa xoox, rag waa xaajo, naagna waa xishood. (جورج، ص75)، قيمة النوق دَرُّ اللبن، والخيل سرعة الجري، والماعز وفرة الحليب، والرجال حلّ القضايا الشائكة، والنساء الحياء.**

هذا المثل من أمثال ذوات العدد، التي تتكون من أكثر من عبارتين وكلّ جزئياتّها متراصّة، وتتضافر لإظهار المعنى المراد، فكأنه يقول: فكما تكمن قيمة النوق في لبنها المدرار، فكذلك الخيل تبرز قيمتها في الجري السريع، وإيصال المقصد في أقل وقت ممكن، وكذلك الماعز، فنفاسة معدنها تظهر ما في ضرعها من حليب، وكذلك الرّجال، تَتبيّنُ رجولتهم الحقيقية في الشدائد، ومدى قدرتهم على حلّ مشاكل العشيرة بأيسر طرق وبأقل تكلفة، والنساء كذلك تظهر قيمتهن في الحياء. والحياء لغة، الحِشْمة والرّزانة والوقار والأدب والتواضع. (عمر، 2008م، ج1)، وفي الشّرع، يقول ابن حجر: "خُلُقٌ يَبْعَثُ عَلَى اجْتِنَابِ الْقَبِيحِ وَيَمْنَعُ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي حَقِّ ذِي الْحَقِّ" (1379هـ،ج1)، ولهذا وصف الرّسول ﷺ بأنّه: «شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» (ابن سلاّم، 1983م). ويعرّفه ابن الهائم: بأنّه: "تغيّر وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به ويذمّ، ومحلّه الوجه ومنبعه من القلب" (ابن الهائم ،1423هـ). والحياء المعنيّ هنا، وفق العرف المجتمعي، هو أن تستحي المرأة من كل ما يمنعه الشّرع، وتأباه الفطرة السّليمة، وتراعي آداب الذوق العام، وتتجنب كل السلوكيات التي تتناقض مع منظومة القيم المجتمعيّة التي تحددها العادات السليمة والتقاليد العريقة. وهذا المثل ينسجم مع المثل السّابق ويعاضد معناه. ويؤكّدان قيمة اللِّياقة، والأخلاق الحسنة، والحشمة في حياة السيدات.

- **المثل العاشر: Naagta gaarida ah gurigeedaa laga gartaa (جورج، ص122)، تُعرف المرأة الكَفُوءة من بيتها.**

يؤكّد هذا المثل منزلة البيت لدى المرأة في المجتمع، قائلًا: تُعرف السيدة القديرة الراقية من خلال بيتها؛ لأنّه نظيف، ومرتب، ومنظّم، ومزيّن، ويعكس ألمعيتها وذوقها

وأناقتها ومتانتها وديناميتها، كأن مظهر البيت يجسّم طبيعة المرأة وشخصيتها. فهو تنبيه على النساء أن يهتمن بمسكنهنّ، لأنه صورة عنهنّ، وأن المجتمع يمايز بينهن بقدر تمايز منازلهن.

- **المثل الحادي عشر: Nin iyo naagtiis marin kaagama bannaana (جورج، ص135)، لا مَنْفَذ لك بين الزوجين.**

وهو مثل يشدّد على عدم التدخل في شؤون الزوجين إلا بالحُسنى وعند الطلب؛ لأن الزوجين من أسرتين، ومن المؤكّد أنّ أي خلاف بينهما يتسرّب إلى أحد أفراد الأسرتين أو أصدقاء الزوجين، وقد يتطوّع بعضهم بتقديم نصائح ضارّة توتر العلاقة الزوجية أكثر لأحدهما، وتؤدي إلى توسيع الهوّة بدل ردمها، وقد يصل الأمر -أحيانا- إلى حثّ أحدهما على الغلظة على الطرف الآخر، أو تجاهل شكواه، أو مفارقته، وما شابه ذلك، وهنا يأتي المثل: قائلًا: لا دخل لك فيما يجري بين الزوجين من خلافات، فهما أقدر على حلّه، فإن احتاجوا إلى المساعدة، فيعرفون طريقه، وهو اللجوء إلى أهل الحلّ والعقد في العشيرة. ويضع المثل كذلك الزوجين في كِفّتي الميزان دون ترجيح، ويلتمس الشّعبَ من المحافظة على تماسك الأسرة وإبعاد كلّ تدخّلٍ من شأنه أن يعكّر صفوها.

- **المثل الثاني عشر. Naagtu markay guriga ka maqantahay labada indhood buu la'yahay gurigu, laakiin markuu ninka maqanyahay hal il buu la'yahay. (ص123)، عندما تغيب الأم يفقد البيت عينيه، ولكن في غياب الأب يفقد البيت عينًا واحدة.**

هذا المثل هو تعبير دقيق عن حال الأسرة الصوماليّة، فالأم مسؤولة عن البيت ترتيبًا وتنظيفًا وطبخًا وشراء أغراض، والإشراف على الأطفال إطعامًا وتعليمًا وتعاملهم مع الآخر المحيط بهم، فإذا كانت الأسرة رعويّة أو زراعيّة، فهي تُشرف زيادة على ما سبق على تعليف الأَحْوِرَة، والعُجُول والعُنوق، والحُمْلان، وسقيها ورعايتها، بينما تقتصر مَهمّة الأب على توفير المصروفات، والرعي أو حرث الزراعة وحراستها، وهو ما تشاركه الأمّ معه أيضًا، لهذا لخّص المثل واقع الأسرة الصوماليّة، واصفًا إياها بأنها مبصرة حين

تكون الأم موجودة، وتكون أعمى كليًا حين تغيب، في حين تفقد إحدى عينيها فقط عندما يغيب الأب.

- **المثل الثالث عشر: Saddex ma gaadhid: nin maalin ma gaadhid, ninna sanad ma gaadhid, ninna waligaaba ma gaadhid. Ninka kaa faras wanaagsan maalin ma gaadhid; ninka xoolihiisa meeshaada meel ka fiican daaqsadayna sanad ma gaadhid; ninka kaa naag wanaagsanna waligaa ma gaadhid. (جورج، ص198)، لا تصل إلى ثلاثة رجال: الأوّل لا تصل إليه يومًا، والثاني لا تصل إليه سنة، والثالث لا تصل إليه طَوَال العُمْر. مَن فرسه أجود من فرسك لا تصل إليه يومًا، ومن ترعى مواشيه مرعًى أخصب من مرعاك لا تصل إليه سنة، ومن زوجته أحسن من زوجتك لا تصل إليه طَوَال العُمْر.**

وهذا مثل آخر من ذوات الأعداد يرسّخ أهميّة الزوجة الصّالحة للزوج في المجتمع، وقدّم نموذجًا لذلك، قائلًا: إن من يملك فرسًا أفضل من فرسك يصل إلى هدفه قبلك بدون شك، لكنك تلحقه بمدّة وجيزة لا تعدو عن ساعات اليوم، وأما مَنْ ترعى مواشيه في مرعًى أحسن من مرعاك؛ إذ فيه عشب وافر وكلأ كثير، وماء غزير، يسبقك سنة؛ لأن عدد المواشي يزداد، وتدرّ اللبن، وتعيش الأسرة في رخاء، ويقوى عضد الأطفال، بينما تعاني مواشيك من هزال، ويتقلّص عددها بسبب بيع بعضها لضرورة الحياة، ونفُوق بعض الآخر نتيجة لقلّة المأكل والماء، في وقت لا تصل مدى الحياة إلى من زوجته أحسن من زوجتك؛ لأن الزوجة القديرة تُحسن إدارة البيت، وتخلق جوًّا مفعما بالحب والحنان والعطف والتعاون، لذا يسبقك هذا الرجل طوال العمر، لأن أمواله تدار بكفاءة، وأولاده يتربون على أحسن تربية، ويكون راضيًا عن حياته، ويعيش مطمئنّ البال، هادئ النفس، بينما تبقى أنت أرقًا، قلقًا، متوترًا، وربما يفاجئك الموت بنوبة قلبيّة، أو سكتة دماغيّة، أو تصيبك أمراض مزمنة أخرى بسبب ذلك، لذا يكون هذا المثل لصيق بالمثل الذي قبله، وكلاهما يعزّزان دور الزوجة الصالحة، ومقامها في الأسرة الصوماليّة.

- **المثل الرابع عشر: Saddex waa lagu kacaa: kor-u- gaaris naagood, koran rariddii, kal carrow leh. (جورج، ص199)، يُبادر بأعمال ثلاثة: زواج الفتاة الطويلة، أو الحكيمة، والارتحال وقت الأصيل ورَحْل البعير المخصي.**

فيقول المثل: لا تُرجئ ثلاثة أعمال، الأول: له تفسيران، التفسير الأول: زواج الفتاة الطويلة؛ ويقول أصحاب هذا التفسير أنّ الطول كان يمنح الفتاة قيمة خاصة في المجتمع، مستشهدين بذلك المثل الصومالي الآخر القائل: أولادك يحتاجون مناصرتك مرّة واحدة، وهي حين تختار أمهم، ويرون أنّ المجتمع الصومالي يحث مقبلي الزواج –من خلال هذا المثل– على انتقاء الفتاة الطويلة الجميلة، منطلقًا من اعتقاده بأنّ طول الأم ومتانتها وجمالها، ينتقل إلى الأولاد، وعليه يفضّل المجتمع الذي يعيش غالبًا في بيئة قاسية، الولد القويّ ذي القامة الطويلة والعضلات المفتولة، القادر على تحمل أعباء الأسرة الشاقّة المتعددة، مِثْل: السّقي والرَّحْلِ والتحظير والسّفر، وحماية المواشي من الحيوانات المفترسة، والدفاع عن النفس، وغيرها، إضافة إلى انتقال طول الأم وجمالها وكثير من مواصفاتها إلى بناتها اللاتي يصبحن مرغوبات في المجتمع، فهذا المثل يوثّق هذه الفكرة – حسب هذا التفسير– ويقول: بادروا بالزواج المبكر فهو محمدة، واختاروا الفتاة الطويلة فهي الأنفع. أما التفسير الآخر فيقول: kor ugaaris naagood، معناه السيدة الحكيمة العمليّة التي تتمتع بمكانة مرموقة وسمعة طيّبة، والتي يقتدين بها الأخريات، ويتمنون أن يكنّ مثلها في العقل والإبداع والبراعة والعمل والسّمعة، وغيرها، أي إلحَقْ بها إذا وجدت هذه النوعيّة. وما يعنينا في هذا المثل هو هذا الشقّ سواء صح التفسير الأول عليه، أو الثاني.

وأما العمل الثاني الذي يرى المثل أن يُسْرَع إليه، هو الرّوحة المخطط لها ذهنيًا؛ لأن تأخير الرحلة بدون داع ليس لصالح المسافر طالما يعتزم السّفر، كما أنّ السير في وقت الأصيل الذي تنخفض لفحة الشمس، وتنعدم تأثيرات أشعتها السلبيّة، مفيد للمسافر، ويمكّنه من قطع المسافة، ووصول مبتغاه بأيسر طريقة، وأريحها.

وأما العمل الثالث الذي ينبغي الإسراع إليه، هو رَحْل البعير المخصي؛ لأن فيه ميزتين، الميزة الأولى أنّه هيّنٌ تقدر السيدات والمراهقون على رَحْله، ولا يتمرّد كغيره من

الأباعر غير المخصيين الذين قد تشتدّ رغباتهم الجنسيّة أحيانًا ويهيجون ويبحثون عن نوق ويعاندون أصحابها، والميزة الثانيّة أنّه قويّ، وضخمٌ ورحيب، تستطيع الأسرة أن تضع كلّ أغراضها مرّة واحدة عليه، كأن المثل يقول: إذا كانت لديك رغبة في الانتقال ومعك هذا البعير المخصي فاهرع إليه.

أمثال وردت في فضل الأم:

- **المثل الخامس عشر: Habaar hooyo hoog baa u danbeeyo (جورج، ص80)، مغبّة دعوة الأمّ على الولد الهلاك.**

يتحدث المثل عن حقوق الوالدين على الأولاد ووجوب برّهما، ولكنّه ذكر الأم، من باب ذكر الجزء وإرادة الكلّ، وكون حقّها أكبر وآكد من حق الأب، وذلك من خلال الإشارة إلى ما يترتب على عصيانها من عقاب إلهي وعسر دنيوي، قد يعبّر المثل عن خبرات الشعب الحياتيّة، وقد يكون مزيجًا بين تجاربه الخاصة واستئناسه بما ورد في التراث من نصوص، مثل حديث ابن حبّان القائل: «رِضَاءُ الله فِي رِضَاءِ الْوَالِدِ وَسَخَطُ الله في سخط الوالد» (1988م، ج2)، وحديثه الآخر القائل: «لَا يَدْخُلِ الْجَنَّةَ عَاقٌّ» (ج8، 178). وحديث البخاري القائل: «إِنَّ الله حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ» (1422هـ، ج3). وغيرها من الأحاديث التي تحذّر من عقوق الوالدين، وتشدّد على شناعتها وفظاعتها، وتوكّد أنّ نهايتها وخيمة، فمهما كان مصدر إلهام المثل، فإنه يثبت حقيقة ناصعة، وهي أن نهاية دعوة الوالدين على الأولاد ثبور وكرب وندامة، سواء أُذيقت ويلاتها في الدارين أو أجلت إلى يوم الحساب.

- **المثل السادس عشر: Cunug fiyow, hooyo fiican (جورج، ص47) ، طفل صحي، يعني أم أريبة.**

يجسّد المثل قيمة الأمّ للطفل، ولكنّه حدّد نوعيّة بعينها، وهي الأم الأريبة، المعتنية بأولادها، والمتفانية في رعايتهم، فهي من يدلّ الطفل الصحي عليها، وتكون سلامته البدنيّة والعقلية معبّرة عن تميّزها، ونبل شخصيتها.

- **المثل السابع عشر: Hadday hooyadaa dhimato, aabahaa adeerbuu kuu noqdaa (جورج، ص86)، إذا ماتت أمك يصير أبوك عمًا.**

فيشير المثل إلى الدور المركزي للأمّ في تمتين العلاقة بين الأب والأولاد، وأنّ غيابها يضعف هذه العلاقة، حيث يقلّ عطف الأب ويصبح تعامله معهم كتعامل العم، ويبيّن المثل كذلك جانبًا من عادات المجتمع وهو اقتران الأب السريع بزوجة أخرى إثر وفاة زوجته؛ لتكون الزوجة الجديدة أمًّا لأولاد الزوج العجايا (يتامى الأم) وأنّه من الطبيعي أن لا تمنح الزوجة الجديدة الأطفال حنانًا يضاهي حنان أمهم، أو اهتمامًا مثل اهتمامها، أو رعاية تشبه رعايتها، وقد تقسو عليهم، ولا يبادر الأب لحمايتهم ولا لإنصافهم، بل قد يقف معها، وهذا ما اعتبره المثل تحوّل الأب إلى عم، لأنه يسكت أحيانًا عن معاناة أطفاله- وإن لم يكن راضيًا عنها- مخافة غضب الزوجة.

- **المثل الثامن عشر: Hooyo waa hadi, kol ay habar indho la' kuu tahayna (جورج، ص91)، الأمّ دوحة ولو كانت عمياء.**

فالمثل يثبت أنه لا أحد يملأ مكان الأم، أو يقترب منها، ولو كانت عمياء، أي ولو كانت قليلة النفع؛ لأنّ حاجة العمياء إلى الخدمة والمساعدة أكثر من نفعها، ومع ذلك فهي كالدوحة في البيت، يستظلّ الجميع تحت ظلّها الوافر، ويستطعمون ثمارها اليانعة، ويلعبون بحضنها الدافئ، ويتسلقون ساقها وفروعها، ويستحطبون غصونها الجافة، وفيه تشبيه بليغ بين الأمّ والشجرة العظيمة المثمرة المتشعبة الفروع، لأنّ وجود الأمّ في البيت يُطمئن الأطفال، وحكاياتها تُفرحهم، واستفساراتها عن حالهم وتطوراتهم تُشعرهم بالحنان، ودعاؤها لهم بالتوفيق يقويهم ويشحنهم، ونصائحها الحياتيّة تزيدهم تبصرة ورشدًا ووعيًا، مثلها مثل تلك الشّجرة تمامًا.

- **المثل التاسع عشر: Hooyo doqon ihi habaryar bay dhaantaa (جورج، ص91)، أُمٌّ بلهاء أفضل من خالة.**

فهو مثل آخر يصرّح عظمة الأم وعدم وجود من يماثلها في الخليقة بغضّ النظر عن علّاتها وضعفها ونواقصها، حتى الخَالَةُ التي وصف الرّسول ﷺ أنها بمنزلة الأم

(البخاري، ج3)، لا تتساوى معها من جميع النواحي، ولكنها أقرب إليها عطفًا ورأفة واعتناء بعد فقدان الأم، أو استحالة القيام بدورها الطبيعي، لأي سبب كان، فأتى المثل بنموذج غاية في الندرة وهو الأم الحمقاء، لكي يظهر أهمية الأم للطفل.

- **المثل العشرون: Habar iyo hayinkeed isla raran (جورج، ص81)، الأمُّ ومطيتها مثقلان بالحمل.**

فيشيد هذا المثل ضمنًا بدور الأمّ في المجتمع، انطلاقًا من شعورها الزائد بالمسؤوليّة، واهتمامها الفائق بالأسرة وأمتعتها، وثرواتها، وتفانيها في رعايتها، وهنا يشير المثل إلى ما يحدث غالبًا في الأسر البدوية المترحلة، أثناء انتقالها من مكان إلى آخر مستخدمة الجمال والحمير للارتحال، واضعين كل أغراض البيت ومكوناته على ظهورها؛ إذ يُتوقع في هذه الحالة أن تسير سيدة البيت خفيفة، ولكن كثيرًا ما يلاحظ وهي تحمل أشياء على ظهرها أو كتفها أو بيدها، سعيًا منها للحفاظ على ما تراه أنّه ثمين ونفيس، وتخاف من كسره أو سقوطه وضياعه، أو يخصّ بالأطفال، وتتخيّل أنهم سيحتاجون إليه في الطريق، ومن ثم تستبخل على تركها في ظهر المطيّة، وذلك اعتناء بالأسرة ورعاية ممتلكاتها وأفرادها، وهنا قال الصوماليون الأم وراحلتها مثقلان بالحمل.

الخاتمــة

بعد دراسة الجانب الإيجابي لأمثال المرأة الصومالية الواردة في قاموس جورج، توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج، أهمها ما يأتي:

1. إن المجتمع الصومالي كغيره من المجتمعات يقدّر الأمثال كفن تعبيري، ويعدّها أرقى أساليبه الأدبية والفنية، ويُعلي قيمتها، كحِكم تحفظ مآثر الأسلاف وخبراتهم الحياتيّة، وتنقلها إلى الأجيال المتلاحقة.
2. عبّر المجتمع بأمثاله عن جميع المجالات التي جرّبها وخَبرَها ومارسها مهنيًا، أو حياتيًا.
3. تنوعت الأمثال بين أمثال استُمدت من الثقافة الإسلامية، أو تلاقتْ معها قيميًا، وأخرى تفرّد بها المجتمع الصومالي، وتعبّر عن خصوصياته الثقافيّة، والبيئيّة.
4. أكدت الأمثال اعتراف المجتمع الصومالي بقيمة السيدات حيث وضع أمثالًا خاصة بهنّ ترفع شأنهنّ وتجلّ قدرهنّ، وتحترم إنسانيتهنّ، وتقدّر دورهنّ البارز في المجتمع الذي لا يضاهيه أيّ دور آخر، سواء كانت بنتًا، أو زوجة، أو أمًّا أو أختًا، وهو إقرار مقدّر من مجتمع بدوي رعوي زراعي ذكوري، يُتوقع أنّه يؤثر الذكر على الأنثى، ويهضم حقوقها الطبيعيّة. إقرارٌ بيّنته أمثاله التي هي خلاصة تجاربه واتجاهاته وقيمه وأفكاره ومعارفه.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن أبي شيبة، أبو بكر، عبد الله بن محمد العبسي (المتوفى: 235هـ) (1409): المصنف في الأحاديث والآثار. (ط1). الرياض: مكتبة الرشد.تحقيق: كمال يوسف الحوت.
- ابن الهائم، شهاب الدين، أحمد بن محمد، (المتوفى: 815هـ). التبيان في تفسير غريب القرآن. (ط1). بيروت: دار الغرب الإسلامي. تحقيق: ضاحي عبد الباقي محمد.
- ابن حبان، محمد بن أحمد البُستي (المتوفى: 354هـ) (1988م): الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان. (ط1).بيروت: مؤسسة الرسالة. تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (1379هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري. بيروت: دار المعرفة. الترقيم والتصحيح والتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، وابن باز.
- ابن سلّام، أبو عُبيد القاسم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: 224هـ) (1983م): كتاب الإيمان "ومعالمه، وسننه، واستكماله، ودرجاته". (ط2).بيروت: المكتب الإسلامي. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل [ت: 458هـ] (2000م): المحكم والمحيط الأعظم. (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية. تحقيق: عبد الحميد هنداوي.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (المتوفى 1393هـ) (1984م): التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية.
- ابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني الرازي (المتوفى 395هـ). (1979م): معجم مقاييس اللغة.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على(المتوفى 711هـ). (1414هـ). لسان العرب. (ط3). بيروت: دار صادر.
- أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (المتوفى 370هـ). (2001م): تهذيب اللغة. (ط1). بيروت: دار إحياء التراث العربي.تحقيق: محمد عوض مرعب.
- الأصفهاني، الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد (المتوفى: 502هـ). (1412هـ). المفردات في غريب القرآن. (ط1). دمشق: دار القلم. تحقيق: صفوان عدنان الداودي.

- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي (1422هـ): صحيح البخاري. (ط1). بيروت: دار طوق النجاة. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر.
- تاج العارفين، زين الدين محمد بن علي بن زين العابدين (المتوفى 1031هـ) (1990م): التوقيف على مهمات التعاريف. (ط1). القاهرة: عالم الكتب.
- الجبار، عبد الله عبد ومحمد عبد المنعم. (د ت): قصة الأدب في الحجاز. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.
- الجربوع، عبد الله بن عبد الرحمن (2003م): الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله. (ط1). المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.
- الخليل، بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ). كتاب العين. دار ومكتبة الهلال. تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي.
- الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل (المتوفى: 311هـ) (1988م): معاني القرآن وإعرابه. (ط1). بيروت: عالم الكتب. تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي.
- زغلول، محمد السعيد بن بسيوني. موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف. بيروت: دار الكتب العلميّة.
- السمين الحلبي، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (المتوفى: 756هـ): الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. دمشق: دار القلم. تحقيق: أحمد محمد الخراط.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ) (1998م): المزهر في علوم اللغة وأنواعها. (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.تحقيق: فؤاد علي منصور.
- صيني، محمود إسماعيل، وزميلاه (1992م): معجم الأمثال العربيّة. (ط1). بيروت: مكتبة لبنان.
- ضيف، شوقي. (1995م). تاريخ الأدب العربي. (ط1). مصر: دار المعارف.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (المتوفى: نحو 395هـ). الفروق اللغوية. القاهرة: دار العلم والثقافة. تحقيق: محمد إبراهيم سليم.
- علاء إسماعيل الحمزاوي. الأمثال العربيّة والأمثال العاميّة مقارنة دلاليّة. (د ت)، ص2.
- علي محمد الصلّابي . (د ت): البرلمان في الدولة الحديثة المسلمة. بيروت: دار المعرفة.
- عمر، أحمد مختار (المتوفى: 1424هـ) (2008م): معجم اللغة العربية المعاصرة. (ط1). القاهرة:

- فيروز، مصطفى، (2020م). مقابلة هاتفية في 8 أبريل.
- القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري (المتوفى: 671هـ). (1964م): الجامع لأحكام القرآن. (ط2). القاهرة: دار الكتب المصرية. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش.
- الموسوعة العربيّة العالمية (1999م). (ط2). الرياض: مؤسسة أعمال المؤسسة.
- الهاشمي، زيد بن عبد الله بن مسعود بن رفاعة (المتوفى: بعد 400هـ). (1423هـ). الأمثال. (ط1). دمشق: دار سعد الدين.
- اليوسي، الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي (المتوفى: 1102هـ) (1981م): زهر الأكم في الأمثال والحكم. (ط1). الدار البيضاء: دار الثقافة. تحقيق: محمد حجي، ومحمد الأخضر.
- Annarita Puglielli iyo Cabdalla Cumar Mansuur. (2012). Qaamuuska af-soomaliga, Roma: Universita' degli Studi Roma Tre.
- Kapchits, Georgi. (1998). Qaamuuska maahmaahyada Soomaaliyeed. Moosko: Shirkada qoraalka ee "Suugaanta Bariga.